

خطاب من صاحب الجلالة إلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة

من الحسن الثاني ملك المملكة المغربية الى حضرة صاحب الفخامة الأخ السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تلقيت خطابك الكريم الذي جدد لي عبارات عطفك ومودتك، والذي لمست فيه تأثرا صادقًا للوضع المؤلم القائم بين المغرب والجزائر الشقيقة وأحسست منه حرصك ورغبتك في المساهمة في حل المشكل القائم بما يعيد المياه الى مجاريها، ويرجع بعلاقات البلدين الشقيقين الى سابق عهدها من الأخوة وحسن الجوار والتعاون، واني لأشكر لأخوتكم هذه البادرة الطيبة الصادرة من قلب قائد عربي يطفح بتقدير مسؤوليات الظروف الدقيقة التي يجتازها عالمنا العربي، والتي تستدعي منا المزيد من التضامن والتساند لدرء الأخطار المحدقة بنا، ولتقوية أواصر التعاون المثمر بين أقطارنا.

ولست في حاجة الى التذكير بما يربطني بأخوتك من صادق المودة، ولا بعواطف التقدير التي أكنها لشخصك الكريم، فأنت تعلم أن علاقتنا الشخصية وعلاقات دولتينا وشعبينا العربيين الشقيقين طبعتها دائما أواصر الود المتين سواء على عهد والدي المقدس، أو منذ تحملت أعباء المسؤوليات بعد التحاقه بالرفيق الأعلى.

وأعتقد أن ما عرفته ويعرفه الخاص والعام عن سياسة المغرب وسلوكه، وعن تقيده في معاملاته بأعراف اللياقة الدولية، وحرصه الدائم على البعد عن الخوض في شؤون الغير، وخاصة جيرانه الأقربين، كل ذلك يجعلكم تؤمنون بأن الوضع الشاذ القائم على الحدود المغربية الجزائرية لم يكن باختيار منا، ولم نهدف اليه، بل انه ليؤلمنا بالغ الألم ان يتدهور الموقف لدرجة أن القوة والعنف يطغيان على الحكمة والتعقل، فيسفك المسلم العربي دم المسلم العربي، ويصبح وقف القتال بين الأخوة مشروطا بشروط، ومسبوقًا بقيود، في حين أن كل شيء يدعونا الى التعجيل بوضع حد لاراقة الدماء، وازهاق الأرواح والأنفس التي حرم الله قتلها الا بالحق.

وان سياسة المغرب التي دشنها منذ الاستقلال والدي المنعم وسرت على هديها كانت ولاتزال — زيادة على مبدا عدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير — تقوم على مبدأي عدم اللجوء الى العنف واختيار طريق التفاوض والحوار المباشر لتسوية النزاعات وحل المشاكل مهما كانت معقدة.

وإذا كنا التزمنا هذه المبادىء حيال الدول التي لنا معها بعض المشاكل والصعوبات، فإنه بالأحرى أن نتقيد بهذه المبادىء بالنسبة للجزائر الشقيقة التي لم ندخر جهدا لبذل المعونة الصادقة لها أثناء حرب التحرير وبعدها، إيمانًا منا بأن مغربًا عربيًا ثابت البنيان لا يمكن تدعيمه الا إذا تقوت أركانه، والتحمت صفوفه، وساد الاستقرار والطمأنينة في أرجائه، وانطلاقًا من هذه العقيدة التي تسمو عندنا فوق كل اعتبار، كان تأثرنا عميقًا للخلاف الذي شب بين قادة الجزائر وتطور ذلك الخلاف الى اصطدام — انحصر موقفنا منه في الامتناع عن مساعدة اللامشروعية، فكنا بذلك منطقيين مع أنفسنا في مواصلة مساعدة الرئيس أحمد بن بلة الذي بذل المغرب له كل ما في وسعه منذ اعتقاله الى حين توليه رئاسة الجمهورية، لم ندخر في ذلك جهدًا ولا بخلنا بمعونة.

وحرصنا على تدعيم الاستقرار في هذه المنطقة من العالم العربي هو الذي دفعنا الى القيام بمبادرة تقريب وجهات النظر بين الجزائر وتونس بمجرد ما علمنا بأزمتهما السياسية في يبراير سنة 1963 رغم أن علاقاتنا بتونس الشقيقة لم تكن طبيعية بعد موقفها المعروف من مشكلة موريتانيا، ذلك لأن اعتبار تشييد المغرب العربي وإرساء قواعده يسمو عندنا فوق كل اعتبار آخر، ويدخل في صميم عقيدتنا ومبادئنا الأساسية، وهذا الاعتبار — بالاضافة الى تسهيل مهمة الجزائر ومساعدتها على التغلب على الصعاب التي تعترض في البداية تشييد كل دولة فتية — هو الذي جعلنا نرجيء باستمرار طرح مشكلة الحدود التي خلقها الاستعمار، ذلك المشكل الذي اعترف بوجوده الاتفاق الذي أمضيناه بتاريخ 6 يوليوز 1961 مع الحكومة المؤقتة الجزائرية والذي لم ينازع فيه الرئيس ابن بلة نفسه.

وقد ظلت العلاقات تسير سيرها الطبيعي حتى فاه الرئيس ابن بلة باتهاماته لنا ولشعبنا في خطاب رسمي أغضبنا عما ورد فيه، وبادرنا لتنقية الجو بايفادنا مدير ديواننا الملكي ووزير الخارجية بالنيابة ليحضر اجتماع وجدة الذي انتهى الى الاتفاق على وضع حد للتوتر وانهاء الحملات الصحفية والاذاعية التي انطلقت من جانب واحد، هو جانب الحكومة الجزائرية.

ولم تمض الا أيام على تفاؤلنا خيرًا بنتائج اجتماع وجدة حتى فوجئنا باعتداء على ترابنا الوطني من القوات المسلحة الجزائرية في مركزي حاسي البيضا وحاسي تينجوب، اعتداء خلف ضحايا في الأرواح وخسائر مادية، ومع ذلك آثرنا أن لا نرد على العدوان، وأن نوجه وفدًا للجزائر مكونًا من وزير الأنباء ومن مدير ديواننا العسكري، لأن جو الانفراج الذي أعقبه اجتماع وجدة جعلنا لا نتصور أن يكون الاعتداء مدبرًا، وكنا نظن أن عناصر غير مسؤولة ربما استغلت حسن نية الرئيس ابن بلة وقامت بذلك الاعتداء الشنيع، ولكن خاب ظننا عندما تأكد لنا أن الحكومة الجزائرية هيأت لذلك الاعتداء، وأنها لا تجد غضاضة في تحمل مسؤوليات ما خلفه ذلك الاعتداء من ضحايا وخسارات.

وقد استقبلنا بعد استرجاع المركزين بعثة الرئيس الجزائري الينا وأجرينا معها محادثات أملنا خيرًا في الوصول معها الى نتيجة ايقاف النار، ولكن الحكومة الجزائرية أوقفت المفاوضات بغتة على أمل معاودة الحوار، وما نزال ننتظر الاشارة لمتابعته لحد الآن.

وعندما أخذت الأحوال تتطور من سيء الى أسوأ، ولاحظنا إصرار الطرف الجزائري على العدوان على مراكز مغربية لم تكن قط موضوع نزاع، بادرنا بالابراق للرئيس ابن بلة نلفت نظره الى خطورة الموقف وندعوه الى التعقل، ونناشده الله والرحم أن يضع حدًا لتصرفات لا تخدم مصلحة المغرب العربي، بل تسيء الى المغرب والجزائر على السواء، ولم يرد الرئيس ابن بلة على نداء التعقل الا بالاصرار على موقف العدوان.

وإن موقفنا لواضح، ذلك أن رغبتنا في حقن الدماء وايقاف النار بدون شرط سابق رغبة أفصحنا عنها بدون التباس، وما نزال نؤمن بأنها السبيل الوحيد الذي يخلق جوًا صالحًا للدخول في عمق المشكل القائم عن طريق مفاوضات مباشرة يطبعها الصدق والصراحة.

إنك ترى معي أيها الأخ العزيز أنني استنفدت كل الوسائل لتجنب الوضع المؤلم القائم على الحدود، وأن المغرب ضحية عناد وإصرار لا تبررهما طبيعة العلاقات الأخوية الصادقة التي جمعت دائمًا بيننا وبين الجزائر وبيني شخصيًا وبين الرئيس ابن بلة.

ولذلك فأنت على حق حين تندد في خطابك الأخوي بالتأويلات المغرضة التي يمكن أن تلقى حول موقف حكومتي من الجزائر، والتي لا يصدقها لحسن الحظ أحد، والتي قلت عنها ـــ صادرًا في ذلك عن وجدانك وعقيدتك ـــ إنك ترفض تصديقها رفضًا باتًا وقاطعًا.

ولذلك فإنه ليسعدني أن أبادر باحاطتك علما بأنني لم أتردد لحظة في قبول اقتراحكم عقد اجتماع في تونس يحضره رؤساء دول ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، وأرى كل خير في حضورك ومشاركتك فيه لنتعاون على وضع حد لهذه المأساة التي يجب أن تتضافر جهود جميع المخلصين للتخلص منها.

ولقد تقدم أخونا الرئيس موديبو كيتا رئيس جمهورية مالي بوساطته في خطاب بعث به إلي، وأرى ان ينضم إلينا هو الآخر على أمل أن تؤتي جهود الجميع ثمارها المرجوة لما فيه خير السلم والتعاون في القارة الافريقية.

وتقبل مع عواطف ودي عبارات تقديري وتحياتي الأخوية[1].

وحرر بالقصر الملكي بمراكش في 6 جمادى الثانية 1383 (24 أكتوبر 1963).

أخوكم

الحسن الثاني

---

(1) نص المذكرة المجاب عنها :

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب

لقد رأيت أن أتوجه اليك مباشرة برجاء أن أخاطب فيه ضميرك العربي كصديق لك وصديق لوالدك الراحل العظيم الذي أعرف حرصك على ترسم خطاه.

انك ترى معي بغير جدال ان الموقف على الحدود بين الجزائر والمغرب يتدهور بسرعة، وأننا نجد أمامنا الآن مشهدًا مؤلما حيث المسلم يسفك دم المسلم، وحيث العربي يتربص بالعربي لغير سبب ظاهر ولغير مصلحة قومية أعلى وأغلى من دم الأفراد.

وأريد أن أكون صريحًا معك الى أبعد حد، مؤمنا أنك تعرف من طول علاقتي بوالدك الراحل وبك بعده، حرصي الكبير على حسن العلاقات بيننا وحسن التفاهم، وتقديرًا لنضال وطني أصيل أومن أن أسرتكم تحملت تبعاته وأثقاله بشجاعة وإيمان مع جماهير الشعب المغربي.

ذلك يشجعني أن أصارحك بهدى من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم القائلة : «صديقك من صدقك لا من صدقك».

من ذلك كله، ومن قلب يحتفظ لك بالود، أقول لك انني لا أتصور أن تستمر المأساة التي شهدتها حدود المغرب والجزائر يومًا واحدًا بعد ما جرى فيها.

تكفي الأمة العربية آلامها مما جرى هناك حتى الآن وما تعانيه غيره من جراح النضال المستمر الصابر.

وفيما عدا المأساة ذاتها فلست أريد أن يتصور أحد أن حكومة المغرب استغلت ظروفًا داخلية معقدة في الجزائر بفعل طبيعة المرحلة الثورية ثم وجهت الى حدود الجزائر ضربة.

كذلك لست أريد أن يتصور أحد أن حكومة المغرب قد لا توافق على تجربة اجتماعية تجرى في الجزائر ومن ثم تبحث عن سبب لعرقلتها.

كذلك لست أريد أن يتصور أحد أن حكومة المغرب تساعد فيما تقوم به الآن ولو على غير قصد منها محاولات أجنبية تسعى الى وضع المصاعب على طريق الجزائر.

أقول لك صراحة إنني لست من القائلين بهذا، بل إني أرفضه رفضًا باتًا وقاطعًا، لكني أجد من واجبي أن أصارح جلالتك ان استمرار تدهور الموقف على الحدود بين المغرب والجزائر سوف يشجع كثيرين على ترديد هذا الذي أومن أنه لا يؤدي أولا

ولا أخيرًا الى مصلحة عربية فضلا عن ايماني القاطع بعدم صحته.

إن الموقف يقتضي منك خطوة في اتجاه أمتك العربية التي أعطتك دائمًا تقديرها وأرادتك بإخلاص جنديًا شجاعا في خدمتها وخدمة أهدافها.

إنني أومن ايمانا بغير حد أنه بيد جلالتك الآن فرصة تاريخية رائعة لقيادة خطى أمتك العربية كلها الى طريق الأمن والشرف.

وليس يخالجني شك أن صوت الواجب المنبعث من ضمير أمتك العربية سوف يجد صداه في ضميرك اليقظ.

لذلك فإني أسمح لنفسي أنْ أعرض عليك اقتراحا باجتماع تلتقون فيه بالأخ الرئيس أحمد بن بلة. ولقد كان هناك اقتراح باجتماع وزراء خارجية المغرب وتونس والجزائر، وفي رأيي أن تطورات الموقف باتت تقتضي أن يرفع الاجتماع الى المستوى الأعلى وان يحضره رؤساء الدول، وانه ليشرفني اذا كان ذلك مفيدًا ومجديًا أن أشارك معكم باسم الجمهورية العربية المتحدة في هذا الاجتماع، كذلك أتمنى لو شاركت فيه ليبيا الشقيقة العزيزة. ولقد سمحت لنفسي ان أكتب في هذا الصدد الى الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس أرجوه أن تكون تونس مقرا لهذا الاجتماع الذي أتمنى لو أمكن عقده قبل نهاية هذا الأسبوع.

على أنكم تسلمون معي أن هذا الاجتماع لا يمكن ان يؤدي الى النتيجة التي نرجوها له إذا لم تمهد له خطوة ضرورية :

1) وقف القتال.

2) عودة القوات المسلحة الى المواقع التي كانت عندها قبل بدء العمليات.

3) وقف علميات الاثارة والتعبئة النفسية.

وإذا تم ذلك كله ففي رأيي أن مثل هذا الاجتماع جدير بالوصول الى نتائج هامة لا تؤدي الى تلافي أزمة عنيفة في المغرب العربي وفي شمال افريقيا فقط، وإنما هي جديرة بآثار أبعد مدى من ذلك...

جديرة بأن تؤثر في الموقف العربي تأثيرًا بناءا وخلاقا، وجديرة في نفس الوقت بأن تكون نقطة تحول هامة في العلاقات الافريقية وعلى المستوى العالمي.

إني أرجو أن تغفر لي كتابتي على عجل لك وحديثي بصراحة متوجهًا الى ضميرك، لكن خطورة الموقف وخطورة المضاعفات التي يمكن أن تنجم عنه جعلتني أتجاوز الأوضاع التقليدية لأخاطبك كصديق وكمواطن وجندي عربي.

وتقبل تقديري وتحياتي والى لقاء أتمنى أن يتحقق.

القاهرة في 20 أكتوبر سنة 1963

جمال عبد الناصر